بَعْضِ الليلِ، فزاحَمَتْ راحلتي راحلةَ رسولِ الله ﷺ ورِجْلُهُ في الْغَرْز، فما استيقظتُ إلاَّ بقولِهِ: «حَسٌ»[1]، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لي فقال: «سِرْ» فَجَعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُنِي عَمَّن تَخَلَّف من بَنِي غِفَار فَأُخْبِرُهُ به، فقال وهو يسألني: «مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطِّوَالُ الْقِطَاطُ»[2] فحدثته بِتَخَلُّفِهِمْ، قال: «فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْجِعَادُ الْقِصَارُ» قال: قلتُ: وَاللَّهِ، مَا أعرفُ هؤلاءِ منَّا، قال: «بَلَى الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةٍ[3] شَدْخٌ» فَتَذَكَّرْتُهُمْ في بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فِينا، فقلتُ: يا رسول الله، أُولئك رَهْطٌ من أسلم كانوا حُلَفَاءَ فينا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَ أَحَدُ أُولَئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ امْرَأً نَشِيطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارُ وَغِفَار وَأَسْلَمُ» [١٠٨٣].

أَمْرُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ عَنْدَ الْقُفُولِ مِنْ غَزْوَة «تَبُوكَ»

قال ابن إسحاق: ثم أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حتى نَزَلَ بـ «ذي أَوَان»[4] بلدٍ بينه وبين المدينة ساعَةٌ من نهارٍ، وكان أصحابُ مسجدِ الضِّرار قد كانوا أَتَوْهُ وهوَ يتجهَّزُ إلى «تبوك»، فقالوا: يا رسول الله (٢٥٥/ب)، إنَّا قد بَنَيْنَا مسجداً لِذِي العِلَّةِ والحاجةِ واللَّيلةِ المَطِيرَةِ واللَّيلةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أن تأتينا فَتُصَلِّي لنا فيه، فقال: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ» أو كما قال ﷺ: «وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا ـ إِنْ شَاءَ الله ـ لأَتَيْنَاكُم فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ» فَلَمَّا

[١٠٨٣] إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٩ـ٣٥٠) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٨٥) رقم (٤١٨) من طريق ابن إسحاق.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٤٩) والحاكم (٣/ ٥٩٣ـ٥٩٤) وعبد الرزاق (١٩٨٨٢) والبخاري في «الأدب المفرَد» رقم (٧٥٤) والطبراني في «الكثير» (١٩/ ١٨٣) رقم (٤١٥)، (٤١٦)، (٤١٧) وابن حبان (٧٢٥٧) والخطيب في «الكفاية» (ص ٤٠ـ٤١) والبزار (١٨٤٢ـ كشف) كلهم من طريق الزهري به.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٤) وقال: رواه البزار بإسنادين، وفيه ابن أخي أبي رهم ولم أعرفه، وبقية أحد الإسنادين ثقات.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) حسٌ، كَلِمَةٌ معناها: أَتَأَلَّمُ، يقولُها الإنْسَانُ إذَا أُصيب بِشَيْءٍ. قال الأصْمعيُّ: هو بمعنى: أوْهُ.

(٢) القِطَاطُ: هو جمع قُطٌّ وهو الصغيرُ نَبَاتِ شَعَر اللِّحْيَة.

(٣) الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدْخ: جعل شَبَكَةَ مع ما أُضِيف إليه اسمَ مكانٍ. ورواه أبو عليّ بَشَبَكة شَدَخٌ قال: وتفسيرُهُ كثيرٌ. قال الشَّيْخُ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: وهو على هذه الرواية صِفَةٌ لِلنَّعم.

(٤) حتى نزل بذي أوَانٍ: كذا وقع في الأصْل بفتح الهمزة، والخُشَنِيُّ يرويه بضَمِّ الهَمْزَةِ حيثُ وَقَعَ.

نَزَلَ بـ «ذي أَوَانٍ» أتاه خَبَرُ المَسْجِدِ، فدعا رَسُولُ الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف وَمَعْنَ بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان، فقال؛ «انْطَلِقَا إِلَىٰ هٰذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ» فخرجا سَرِيعَيْنِ حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رَهْطُ مالك بن الدُّخْشُم، فقال مالك لمعن: أَنْظِرِني حتى أخرج إليك بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي، فَدَخَلَ إلى أهله، فأخذ سَعَفاً[1] من النَّخْلِ فَأَشْعَلَ فيه نَاراً، ثم خرجا يَشْتَدَّانِ حتى دَخَلاَهُ وفيه أَهلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَمَاه، وَتَفَرَّقُوا عنه، وَنَزَلَ فيهم من القرآنِ ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧] إلى آخر القِصَّةِ.

الذين بنوا مسجد الضرار:

وَكَان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً:

خِذامُ بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أُخْرِجَ مَسْجِدُ الشقاق، وثَعْلَبَةُ بن حاطب من بني أُمية بن زيد، ومُعَتِّبُ بن قُشير من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضُبَيْعة بن زيد، وعَبَّادُ بن حُنَيْف أخو سَهْل بن حُنَيْف من بني عمرو بن عوف، وجاريةُ بن عامر، وابناه: مُجَمِّعُ بن جاريةَ، وزَيْد بن جارية، ونَبْتَلُ بن الحرث من بني ضبيعة، وبَحْزَجُ من بني ضبيعة وبِجَادُ[2] بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بني أُمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر [١٠٨٤].

مساجد رسول الله:

وكانت مساجدُ رسولِ الله ﷺ فيما بين «المدينةِ» إلىٰ «تبوك» معلومةً مُسَمَّاةً: مَسْجِدٌ بـ «تبوك»، ومسجدٌ بـ «ثَنِيَّة مِدْرَان»، ومسجد بـ «ذات الزِّرَاب»، ومسجدٌ بـ «الأخضر»، ومسجدٌ بـ «ذات الْخِطْمِيِّ»، ومسجدٌ بـ «ألاء»، ومسجدٌ بـ «طرف الْبَتْرَاء» من ذَنَب

[١٠٨٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦٩ـ٤٧٠) رقم (١٧٢٠٠) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم فذكروه مرسلاً وقال البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٦٠) بعدما ساق طرفاً منه: وذكر ابن إسحاق أسماء الذين بنوه وذكر فيهم ثعلبة بن حاطب وينظر «البداية والنهاية» (٥/ ٢٦ـ٢٧) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٧٠ـ٤٧١).

---

(١) السَّعَف: أغْصَانُ النَخْلَةِ.

(٢) بجَادُ بن عُثمانَ: رُوي هنا بالباءِ والنونَ، وَبِجَادٌ بالباء قَيَّده الدَّارَقُطْني.

كواكب، ومسجدٌ بـ «الشَّقّ» شق تَارَا، ومسجدٌ بـ «ذي الجِيفَةِ»، ومسجدٌ بـ «صَدْر حَوْضَى»، ومسجدٌ بـ «الحِجْرِ»، ومسجدٌ بـ «الصعيد»، ومسجدٌ بـ «الوادي»، اليوم وادي القرى، ومسجدٌ بـ «الرُّقْعَة» من الشُّقَّة شِقَّة بني عُذْرة، ومسجدٌ بـ «ذي الْمَرْوَة»، ومسجدٌ بـ «الْفَيْفَاء»، ومسجدٌ بـ «ذي خُشُبَ».

أَمْرُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَأَمْرُ المُعَذِّرِينَ فِي غَزْوَةِ «تَبُوك»

النبي يأمر باعتزال النفر الثلاثة:

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وقد كان تَخَلَّفَ عنه رَهْطٌ من المنافقين، وتخلَّفَ أُولئك الرهطُ الثلاثةُ من المسلمين من غيرِ شَكٍّ ولا نفاق: كَعْبُ بن مالك، ومُرَارَة بن الربيع، وهِلاَلُ بن أُمية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لاَ تُكَلِّمُنَّ أحداً مِنْ هٰؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ» وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فَجَعَلُوا يَحْلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسولُ الله ﷺ، ولم يعذرْهم الله ولا رسولُهُ، واعْتَزَلَ المسلمون كَلاَم أُولئك النَّفَرِ الثلاثةِ.

شأن كعب بن مالك أحد الثلاثة:

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْرِيُّ محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن أباه عبد الله، وَكَانَ قَائِدَ أَبِيهِ حين أُصِيبَ بَصَرُهُ، قال: سمعتُ أبي كَعْبَ بن مالك يحدِّثُ حديثه حين تَخَلَّفَ عن (٢٥٦/أ) رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ «تبوك»، وَحَدِيثَ صَاحِبَيْهِ، قال: ما تَخَلَّفْتُ عن رسولِ الله ﷺ غَزْوَةً غزاها قَطُّ، غير أَنِّي كُنْتُ قد تَخَلَّفْتُ عنه في غزوة «بدر»، وكانت غزوةً لم يُعَاتِبِ الله ولا رسولُهُ أحداً تخلف عنها، وذلك أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِنَّما خَرَجَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حتى جمع الله بينه وبين عَدُوِّهِ على غَيْرِ ميعادٍ، ولقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ العَقَبَةَ حين تَوَاثَقْنَا على الإسلام، وما أُحِبُّ أَنَّ لي بها مَشْهَدَ «بدر»، وإن كانت غزوة «بدر» هي أَذْكَرُ في النَّاسِ منها قال: كان من خبري ـ حين تخلّفت عن رسولِ الله ﷺ في غزوة «تبوك» ـ أني لم أكن قَطُّ أقوىٰ ولا أَيْسَرَ مني حين تَخَلَّفْتُ عنه في تلك الغزوةِ، والله، ما اجْتَمَعَتْ لي راحلتان قَطُّ حتى اجْتَمَعَتَا في تلك الغزوة، وكان رسولُ الله ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غزوة يغزوها إلاَّ وَرَّى بغيرِها، حتى كانت تلك الغزوة، فَغَزَاهَا رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَراً بعيداً، واستقبل غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّىٰ للنَّاسِ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا لذلك أُهْبَتَه، وأَخبرهم خَبَرَهُ بوَجْهه الذي يُرِيدُ، والمسلمون مَنْ تَبِعَ رَسُول الله ﷺ كَثِيرٌ لاَ يَجْمَعُهُمْ كتابٌ حَافِظٌ، يعني بذلك الديوان، يَقُولُ: لاَ يَجْمَعُهُمْ دِيوَانٌ مَكْتُوبٌ.